دور الكتاب في العرض على الشيخ

مبحث فى دراسات فى علوم السنة

**إعداد / أحمد عبد الحميد مهدي**

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

ahmed.mahdey@mediu.ws

 **الخلاصة – هذا البحث يبحث فى دور الكتاب في العرض على الشيخ
الكلمات المفتاحية – التحمل ، المناولة ، الكتابة**

**المقدمة.I**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة دور الكتاب في العرض على الشيخ**

 **.عنوان المقال II**

**لا شك أن دور الكتاب هنا أوضح من وجوه التحمل الأخرى؛ لأن الطالب في أغلب الأحيان إنما يقرأ من كتابه، ويسمع الشيخ هذه القراءة، فالعرض أيضًا وسيلة لتصحيح الكتاب ونطقه سليمًا، كما هو الحال في معظم السماع.**

**أما المناولة والكتابة وغيرهما فإنها تعتمد على الكتاب اعتمادًا كبيرًا وكليًّا في بعضها، كالمناولة، والمكاتبة، والوصية، وقد وضعت الشروط التي تجعل الكتاب فيها صحيحًا موثقًا، وصحة الكتاب كانت تغفر للراوي سوء تلقيه للحديث؛ لأن الكتاب بصحته كفيل بتوثيقه أي: بتوثيق الحديث.**

**قال الإمام أحمد: وقد وثق راويًا فقيل له: إنه كان يُسيء الأخذ، يعني: التحمل. قال: قد كان يسيء الأخذ، ولكن إذا نظرت في حديثه وما روى عن مشايخه وجدته صحيحًا، وكان للكتاب دورٌ آخر، هو ضبط المرويات وحفظها، وهذا ما سنبيّنه فيما يلي: فكان للكتاب دورٌ في ضبط الأحاديث وحفظها بلا شك، فالكتاب لعب دورًا هامًّا في توثيق الأحاديث، وكان يُعين العلماء على حفظ مروياتهم من غفلة ذاكرتهم، وعلى حفظ مروياتهم أيضًا من أن تتهم عندما يُخالفهم فيها غيرهم، ولهذا كان الكتاب هو المرجع والفيصل في كثير من حالات اختلاف الرواة.**

**يقول أحمد بن سنان الواسطي: سألت عبد الرحمن بن مهدي وهو يحدثنا بأحاديث مالك عن الأب الأسود عن عروة: فمن حسنها قلت له: من أبو الأسود هذا يا أبا سعيد؟ قال: هذا محمد بن عبد الرحمن بن نوفل ربيب عمرو أخو هشام بن عروة من الرضاعة، وهو الذي يقول: حدثني أخي محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن أبي، قال: لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلًا حتى نشأ فيهم أبناء سبايا الأمم، فقالوا فيهم بالرأي فضلُّوا وأضلوا، فقلت: قد كتبته، وهو هكذا.**

**قال أحمد بن سنان: وكنت كتبته عن أبي أسامة بالكوفة قبل أن أنحدر إلى البصرة، فلما قدمتُ واسطًا لم يكن لي همة إلا أن أنظر في كتابي، فنظرت فإذا الحديث قد أُملي علينا عن هشام عن أبيه تامًّا، فلما أتمَّه، قال هشام: أخبرني من سمع أبي يقول: "لم يزل أمر بني إسرائيل معتدلًا حتى..." ذكر الحديث بتمامه.**

**فمن هذه القصة نرى أن الفيصل عند عبد الرحمن بن مهدي وابن سنان إنما هو الكتاب، كلٌّ منهما يحتكم إليه، والقصة التالية شبيهة بهذه في الاحتكام إلى الكتاب والاطمئنان إلى ما فيه، والرجوع إليه عندما تخون الذاكرة، فتُحدّث بما يُخالف ما فيه.**

**قال نوح بن حبيب: حضرنا عبد الرحمن بن مهدي، فحدثنا عن سفيان عن منصور عن أبي الضحى قال له رجل حضر معنا: يا أبا سعيد، حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى، يعني: هناك اختلاف: الإسناد الأول: سفيان عن منصور عن أبي الضحى، والإسناد الثاني: سفيان عن أبيه عن أبي الضحى، قال: فسكت عبد الرحمن، وقال له آخر: يا أبا سعيد: حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى، يعني: أكَّد ما قاله الرجل الأول، أن الرواية سفيان عن أبيه، قال: فسكت وقال: حافظان. يعني: تُحدّثاني عن حافظين، وهما يحيى بن سعيد ووكيع، وكلاهما حدَّث عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى، ثم قال: دعوه. قال نوح: ثم أتوا يحيى بن سعيد فأخبروه أن عبد الرحمن بن مهدي حدَّث بهذا الحديث عن الثوري -يعني: عن سفيان الثوري- عن منصور عن أبي الضحى، فأُخبر أنك تُخالفه ويخالفه وكيع -يعني: هما يرويان عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى، وليس عن سفيان عن منصور- فأمسك عنه وقال: حافظان، قال -وهذا هو الشاهد-: فدخل يحيى بن سعيد ففتش كتبه، فخرج وقال: هو كما قال: عبد الرحمن -يعني: عن سفيان عن منصور عن أبي الضحى. قال نوح: فأُخبر وكيع بقصة عبد الرحمن والحديث، وقوله حافظان، فقال وكيع: عافى الله أبا سعيد -يعني: عبد الرحمن بن مهدي- قال: لا ينبغي أن يقبل الكذب علينا. قال: ثم نظر وكيع فقال: هو كما قال عبد الرحمن اجعلوه عن منصور، يعني: عن سفيان عن منصور عن أبي الضحى.**

**ويقول عبد الله بن المبارك مبينًا قيمة الكتاب في الفصل بين اختلاف الرُّواة: إذا اختلف الناس في حديث شعبة فكتاب غندر -الذي توفي سنة مائة وثلاث وتسعين، واسمه محمد بن جعفر- حَكَمٌ فيما بينهم، ولجأ ابن جريج إلى كتابه فأخرجه لهم عندما أنكروا عليه حديثًا من أحاديثه، عن أبي جعفر محمد بن علي قائلًا: ها؛ أخبرني أبو جعفر محمد بن علي، يعني: هذا مكتوب في الكتاب.**

**وحتى يكون الكتاب جديرًا بحفظ الأحاديث وعدم التغيير أو التحريف فيها، رأى بعض العلماء أن يكون الراوي على ذكر دائم بالأحاديث التي دوَّنها فيه؛ حتى لا يقع فيه تحريف أو تبديل، فيُحدّث بما ليس من مسموعاته، فيكذب على رسول الله وهو لا يدري، فإن شك في شيء من هذا أنه سمعه؛ طرحه وتركه، ولا يُحدّث به، حتى وإن كان في كتابه الذي عنده؛ لأنه ربما كتب الحديث للسماع ولكنه لم يمكنه ذلك، ولم يسمع الحديث.**

**وحكى أبو عبد الله المحاملي ذلك عن أبي حنيفة -رحمه الله تعالى- وبعض الشافعية، قال يحيى بن معين: أتينا حاتم بن إسماعيل بشيء من حديث عُبيد الله بن عمر، فلما قرأ حديثًا قال: أستغفر الله، كتبت عن عبيد الله كتابًا فشككت في حديث منها، فلست أحدث عنه قليلًا ولا كثيرًا.**

**واكتفى بعضهم بأن يتأكد من أن الكتاب هو كتابه، وأن ما فيه من خطه، وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن مهدي: إن الرقعة تقع في يدي من حديثي، ولولا أنها بخطي لم أُحدّث منها بشيء.**

**المراجع والمصادر**

1. **محمد بن محمد أبو شهبه ، (الوسيط في علوم ومصطلح الحديث) ، طبعة عالم المعرفة، جدة 1983م.**
2. **عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح ، (مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصطلاح) ، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974م.**
3. **نخبة من الباحثين ، (موسوعة علوم الحديث الشريف) ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر 2003م.**
4. **الجزائري، طاهر بن صالح الجزائري ، (توجيه النظر إلى أصول الأثر) ، عناية: عبد الفتاح أبو غدة، دار المعرفة، بيروت 1972م.**
5. **الصالح، صبحي الصالح ، (علوم الحديث ومصطلحه) ، دار العلم للملايين 1969م..**
6. **النهانوي، ظفر أحمد النهانوي ، (قواعد في علوم الحديث) ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية 1984م.**
7. **رفعت فوزي عبد المطلب ، (توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته) ، مكتبة الخانجي – القاهرة 1981م.**
8. **الطحان، محمود الطحان ، (أصول التخريج و دراسة الأسانيد) ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض 1996م.**
9. **البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، (الرحلة في طلب الحديث) ، تحقيق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية – بيروت 1975م.**
10. **الخطيب، محمد عجاج الخطيب ، (السنة قبل التدوين) ، دار الفكر 1971م.**
11. **رفعت فوزي عبد المطلب ، (المدخل إلى منهاج المحدثين)**

**، دار السلام – القاهرة 2001م.**

1. **رفعت فوزي عبد المطلب ، ( ابن أبي حاتم الرازي وأثره في علوم الحديث) ، مكتبة الخانجي - القاهرة 1994م.**

**الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، (توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار) ، دار إحياء التراث العربي 1945م.**